

مفهوم الوطن في شعر المعتقلين الفلسطينيين في المعتقلات
الإسرائيلية

The Homeland in the Poetry of Palestinian Poets
Detained in Israeli Prisons

د. محمود موسى زياد*

مدرسة أكاديمية النور التعليمية-

فلسطين

Mah8670@gmail.com

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الإرسال
2026 / 06 / 28	2026 / 06 / 18	2026 / 03 / 30

الملخص:

هدفت الدراسة التعرف إلى مفهوم الوطن من خلال الشعر الذي أنتجه المعتقلون الفلسطينيون في المعتقلات الإسرائيلية؛ حيث برز عدد كبير من المعتقلين الفلسطينيين في كتابة الشعر. ولتحقيق هدف الدراسة طرح الباحث الإشكالية التالية: "كيف عبّر الشعراء المعتقلون عن علاقتهم بالوطن، وكيف ينظرون إليه، وبخاصة إذا كان الشاعر من الذين قدّموا أجمل سنيّ حياتهم من أجل الوطن، واعتقل لأنه دافع عن وطنه وقاوم المحتل؟ استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي حيث اعتمد الباحث على الأدبيات التي تناولت الأدب الفلسطيني بشكل عام، وأدب الاعتقال بشكل خاص، والمصادر الأولية المتعلقة

* د. محمود موسى زياد مدرسة أكاديمية النور التعليمية-فلسطين.

مفهوم الوطن في شعر المعتقلين الفلسطينيين في المعتقلات الإسرائيلية

بأشعار المعتقلين التي تناولت الوطن، حيث تم دراستها وتحليلها إلى مضامينها؛ وبذلك تم التركيز على بعض الشعراء المعتقلين.

الكلمات المفتاحية: الوطن، الشعراء الفلسطينيون، شعر المعتقلين، المعتقلات الإسرائيلية.

Abstract:

The study aimed to identify the concept of the homeland through the poetry produced by Palestinian detainees in Israeli prisons, as a large number of Palestinian detainees have emerged as poets. To achieve the objective of the study, the researcher raised the following research question: *How did detained poets express their relationship with the homeland, and how do they view it, particularly when the poet is among those who devoted the best years of his life to the homeland and was imprisoned for defending it and resisting the occupier?* The researcher used the descriptive-analytical approach, relying on literature that addressed Palestinian literature in general and prison literature in particular. The study also relied on primary sources consisting of the poetry of detainees that addressed the homeland. These poems were examined and analysed in terms of their content. Accordingly, the study focused on a number of detained poets.

Key words: Homeland, Poetry of Palestinian, Poets Detained, Israeli Prisons.

المؤلف المرسل: د. محمود زياد: mah8670@gmail.com

شمل أدب المعتقلين معظم الأنواع الأدبية المعروفة؛ فلم يكن على نوع أدبي واحد، بل كان أدبا متنوعا. وقد أسهم عدد كبير من المعتقلين في أعمال أدبية فسطح نجمهم. ولعل هذا التنوع في الأعمال الأدبية، جاء نتيجة الحاجة الماسة إلى أشكال التعبير المختلفة؛ بهدف تصوير واقع المعتقلين والظروف المعيشية الصعبة في مراكز الاعتقال الإسرائيلية. وقد كان الشعر أحد هذه الأشكال الأدبية الذي تأثر، إلى حد كبير، بظروف الاعتقال، رغم محاولاته الانطلاق لتجاوز مساحة الحجز الضيقة إلى رحابة الوطن.

كان السجن حافزا لعدد كبير من المعتقلين الفلسطينيين في كتابة الشعر، وكان مشجعا لهم للكتابة؛ فبرز كثير من المعتقلين الذين لجؤوا إلى المحاولات الشعرية؛ التي هدفت إلى ترجمة مشاعرهم، والتعبير عنها من خلال الكلمة، لكن الذين تسنى لهم الانضواء تحت تصنيف الشعراء كانوا من القلائل¹.

وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى، أن الأدب الفلسطيني امتلك صوتا جديدا، تمثل في صوت أدب السجون والمعتقلات بشقيه: ما كتب عن المعتقلين والتجربة داخل الأسوار، وما كتب داخل المعتقلات. وقد ظهر الكثير من الأعمال الأدبية الاعتقالية الإبداعية، التي تنتمي إلى ما يمكن أن يُسمى أدب السجون مثل: "الفجر والقضبان" للشاعر محمود الغرباوي، "ديوان المجد ينحني أمامكم" للشاعر عبد الناصر صالح، "زمن الصعود"، "فضاء الأغنيات" "رغوة السؤال" للمتوكل طه، "ثلاثة ناقص واحد" للشاعر سامي الكيلاني، "حوافر الليل" لفايز أبو شمالة، "الجراح" لهشام عبد الرازق، "لن أركع" لعمر خليل عمر، "اشتعالات على حافة الأرض" لخضر محجز، "أعلق في ليلك اليليك" للشاعر معاذ الحنفي، وغيرها الكثير من الإبداعات².

تُعد تجربة الاعتقال، والظروف التي عايشها المعتقلون الفلسطينيون في المعتقلات الإسرائيلية، من أهم المحاور التي تعرض لها شعر المعتقلين. فقد سعى الشعراء إلى تصوير كل ما يتعرض له المعتقلون في تلك المعتقلات ونقله؛ ليكون شاهداً على تلك المعاناة. فقد عبرت تلك الأشعار عن المراحل التي مر بها المعتقلون، والمعاناة التي مورست بحقهم على يد السجانين الصهاينة. لقد حاول الاحتلال قطع صلة المعتقلين بما هو خارج المعتقل؛ فلجأ إلى فرض حصار مشدد على المعتقلين؛ بهدف الحؤول دون التأثير أو التأثير، ولكن المعتقلين استطاعوا، بفضل تضحياتهم، التخفيف من الحصار المفروض عليهم.

تأثر الشعر في السجون بشكل خاص، والكتابة الأدبية بشكل عام بالوضع المأساوي الذي يعيشه المعتقل الفلسطيني، فشكّلت القضايا المتعلقة بالاعتقال والتحقيق، والوضع المعيشي المأساوي للمعتقلين في الزنازين والغرف، والقمع الذي يتعرض له الأسرى الفلسطينيون على أيدي السجانين الصهاينة، أحد المحاور الأساسية التي تناولها الشعراء الذين عاشوا تجربة الاعتقال، أو الشعراء الذين، ربما، سمعوا عن التجربة فتناولوها في أشعارهم³.

وبناء على ما سبق، إذا كان الأدب يمثل انعكاساً للواقع، فإن الأدب الفلسطيني ملتصق بواقعه المعيشي يومياً وتاريخياً. وذلك أن الأدب الفلسطيني التصق بالحالة السياسية في فلسطين، فصارت سمة مميزة من سماته.

برزت الأعمال الأدبية الإبداعية للمعتقلين؛ نتيجة المعاناة القاسية والمؤلمة التي عايشوها، حيث المعاناة النفسية، والجسدية، الفردية والجماعية، التي لا يلعب الوهم، أو التخيل أي دور فيها. فهذه الأعمال المختلفة ترصد ممارسات الاحتلال الهمجية بحق المعتقلين الفلسطينيين، وتعكس استجابات المعتقلين لتلك الممارسات التي كانت تهدف إلى إخضاعهم. وقد تجلت

استجابات المعتقلين بالرفض والتحدي، والمواجهات كلما اقتضت الضرورة ذلك. فقد عبرت كتابات المعتقلين وإبداعاتهم عن درجة التحرر الداخلي التي وصل إليها المعتقلون المبدعون، وعمق رؤيتهم الإنسانية المستندة إلى انتمائهم الصادق ووعيهم العالي؛ فالأدب في ذاته كما يقول شكري "نشاط إنساني يقاوم عوامل الضعف والخور التي قد تلم بالنفس البشرية في لحظات الانكسار، فليس هناك عمل أدبي جاد في تاريخ الإنسان القديم والحديث، يمكنه أن يخلو من هذه السمة البارزة وهي "المقاومة"⁴؛ وذلك كما يضيف شكري "أن هذا العمل يفقد عنصرا خطيرا من مكونات وجوده إذا خلا، من أحد وجوهه، من فكرة الصراع بين الإنسان والكون، سواء تمثل هذا الكون في الوجود الطبيعي أو النسيج البشري"⁵.

انطلاقا من ذلك كله، يسعى الباحث في هذه الورقة إلى تحليل نماذج من الشعر التي كتبت داخل المعتقلات؛ حيث سيتم التركيز على رؤية الشعراء المعتقلين للوطن وكيف تم التعبير عنه؟ ولتحقيق هدف الدراسة سوف يتم تناول الوطن ودلالاته وكذلك انتفاضة الحجارة.

الإشكالية والفرضيات

سُلبت حرية المعتقلون دفاعا عن الوطن؛ ولذلك كان موضوع الوطن أحد المحاور المهمة التي تعرض لها شعر المعتقلين في المعتقلات الإسرائيلية. فقد صور الأدباء المعتقلون من خلال الشعر مشاعرهم وأحاسيسهم نحو الوطن. فكانت أشعارهم تعبيراً عن مراحل الحياة اليومية التي مرّ بها المعتقلون، ونقلًا لما صاحب تلك المراحل من معاناة مورست بحقهم على أيدي السجانين الصهيونيين. لأن الشعر يُعدّ أحد الفضاءات التي يعرض الأديب من خلالها لقضية ما باستخدام أساليب فنية متنوعة، وتلبية حاجة القارئ؛ فقد وجد الباحث في هذه الأشعار الناجية من ظلمات السجن مجالا نصيا يسع الزمان والمكان

مفهوم الوطن في شعر المعتقلين الفلسطينيين في المعتقلات الإسرائيلية

الفلسطينيين بأبعادهما المختلفة. وبذلك شكلت هذه الأشعار محورا دراسيا يحتاج للدراسة، وبناء على ذلك، سعى الباحث لمحاولة الإجابة عن إشكالية البحث الرئيسية المتمثلة في السؤال التالي: "كيف عبّر الشاعر الأسير (المعتقل) عن علاقته بالوطن، وكيف ينظر إليه؟ وعلى وجه الخصوص إذا كان الشاعر من المعتقلين الذين فقدوا في المعتقلات أعمارهم وأجمل سنين الحياة من أجل الوطن؟ هؤلاء الشعراء الذين اعتقلوا؛ لأنهم دافعوا عن أوطانهم، وقاوموا المحتل فتم اعتقالهم وسجنهم؟ ويتفرع من هذا السؤال مجموعة من الأسئلة الفرعية منها:

1. هل يُعدّ شعر المعتقلين في المعتقلات الإسرائيلية تسجيلا لأحداث وتجارب شخصية فقط؟
2. هل استطاعت تلك الأشعار أن تعكس معاناة المعتقلين الفلسطينيين، وواقعهم وظروفهم في معتقلات الاحتلال الإسرائيلي بطريقة أدبية فنية؟
3. هل يمكن اعتبار تلك الأشعار جزءا من أدب المقاومة الفلسطينية؟

المنهج البحثي

تعتمد هذه الورقة المنهج الوصفي التحليلي، حيث تم جمع المادة الأولية من قصائد شعرية أبدعها المعتقلون، لدراستها ومن ثم تحليلها بحسب موضوعاتها المختلفة، بالإضافة إلى ما تحتويه من صور أدبية وفنية. كما تم الاستفادة من بعض المراجع الثانوية التي تناولت الأدب بشكل عام، والأدب الفلسطيني بشكل خاص؛ وذلك لتوظيفها في دعم إشكالية البحث الرئيسية.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى إلقاء الضوء على:

1. المحاور التي تعرض لها الشعر في المعتقلات الإسرائيلية.
2. طبيعة المشاعر والأحاسيس تجاه الوطن وكيف صور الشاعر ذلك.
3. الواقع والظروف السيئة والمعاناة التي مروا بها، والمراحل التي عايشها المعتقلون.

أهمية الدراسة

تأتي هذه الورقة لتسلط الضوء على نوع من النتاجات الأدبية لشعراء عاشوا تجربة الاعتقال؛ فنمت لديهم القدرة على الكتابة خلف القضبان. فأشعار المعتقلين واحدة من إبداعات الأسرى، التي عبروا من خلالها عن الواقع والتطلعات نحو الوطن كقضية مركزية. فكتابة الشعر في المعتقلات تأثرت، إلى حد كبير، بالظروف الاعتقالية رغم محاولات تجاوز ضيق مساحة السجن، والانطلاق إلى رحابة الوطن. وبذلك تمثل تلك الأشعار سرداً لرواية الفلسطينيين عن الوطن من خلال المعتقلين الذين ضحوا في سبيل الوطن.

الدراسات السابقة

دراسة زياد (2022) تقدم هذه الدراسة صورة جديدة من صور الإبداع الفلسطيني الخاص بالشعراء المعتقلين. فالبحث يتناول أهم الظواهر اللغوية والأسلوبية والفنية التي شكّلت الخطاب الشعري الفلسطيني عند الشعراء الفلسطينيين المعتقلين في المعتقلات الصهيونية؛ فقد استعان الشعراء المعتقلون بمختلف ظواهر اللغة في توصيل الدلالة للقارئ، من خلال اللغة الشعرية التي تشكل عنصراً هاماً في الشعر داخل المعتقلات، والاستفهام الذي له دلالات كثيرة كالتعبير عن حالتها القلق والاضطراب النفسي اللذين يشعر بهما المعتقل.

دراسة زياد (2021) هدفت الدراسة التعرف إلى فن الرواية من خلال مجموعة من الروايات التي أنجزها بعض المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية. تناول الباحث من خلال الورقة التشكيل الفني في الموضوعات المتمثلة في: الاعتقال، السجن والغرف والزنازين، التحقيق، التعذيب، صمود المعتقلين، العملاء والجواسيس، ضافة إلى التشكيل الفني في الزمان والمكان والشخصيات.

دراسة سليمان (2020) تناولت الورقة موضوعا في أدب السجون تحت عنوان (دراسة تحليلية لنماذج روائية من أدب السجون). تناولت الورقة أربعة نماذج متنوعة، أنموذجين للسجين الوطني في سجون الاحتلال الصهيوني وهما: (أحلام بالحرية) لعائشة عودة، و(ستائر العتمة) لوليد الهودلي وأنموذجين للسجين السياسي في السجون العربية وهما: (القوقعة) لمصطفى خليفة و(تلك العتمة الباهرة) للطاهر بنجلون. ركزت الورقة على عناصر البنية الروائية في تلك النماذج، للوقوف على ميزات ذلك الأدب وخصائصه الفنية، والتعرف إلى شخصية الأديب السجين، وعلاقته بسكانه ومحيطه وظروف سجنه، وكيفية انعكاس ذلك في نتاجه الأدبي.

دراسة زياد (2020) تناولت الورقة تحليل الجوانب الفنية والأدبية في رسائل المعتقلين الفلسطينيين في المعتقلات الإسرائيلية، حيث ركزت الورقة على نشأة الرسائل الأدبية وتطورها، وموضوعاتها الفنية، والمتلقي للرسالة.

دراسة الجاغوب (2019)، سعت الورقة إلى توثيق التجارب الاعتقالية للأسرى داخل المعتقلات الإسرائيلية، من خلال القصص والحكايات التي تعبر كل واحدة منها عن محطة من محطات الحياة داخل المعتقلات. وقد صورت تلك القصص أحلام الحرية وكوابيس الأسر، الاعتقال والزنازين، التحقيق

وأساليبه الوحشية، والقمعية، وحالة المعتقل في الزنزانة وعزلته، والعملاء، والمواجهة مع السجن والنضال ضد ممارساته القمعية.

مقالة مسلماني (2019)، تناولت الورقة الرسالة التي تشكل مساحة رئيسة في حياة الأسير الفلسطيني للبوح والإبداع على حد سواء. فالرسالة كانت نافذة الأسير الفلسطيني إلى العالم الخارجي، فهو يعبر من خلالها عن المشاعر والأفكار والأشواق تجاه الأهل، كما يروي تفاصيل حياته في السجن. والرسالة، في المقابل، نافذة العالم الخارجي على السجن، إذ يقرأ ذوو الأسرى والعالم من خلالها حياة المعتقلين بتفاصيلها.

دراسة حمدونة (2018)، تتناول الورقة الجوانب الإبداعية في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة في الفترة ما بين 1985 إلى 2015م. وقد تناولت الورقة صراع العقول بين الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة، وإدارة مصلحة السجون الإسرائيلية على مستوى إدارة الوقت وبناء الذات في شتى المجالات.

دراسة زياد (2006)، تتناول هذه الدراسة الأدب الفلسطيني في سجون الاحتلال الإسرائيلي، حيث تطرقت للنتاجات الأدبية التي أنتجها المعتقلون الفلسطينيون في الشعر، والقصة القصيرة، والرواية، والرسالة الأدبية. وقد نوه الباحث إلى أهمية الأدب الفلسطيني المرتبط بشدة بالفلسطيني وقضيته. كما تطرق الباحث من خلال الدراسة إلى الاعتقال، وممارسات السجناء الصهاينة نحو المعتقلين الفلسطينيين، وإمكانات المعتقلين في إنتاج أدب فلسطيني جسّد معاناة المعتقلين بكل أشكالها. وقد تناولت الدراسة الثقافة في المعتقلات؛ فبيّنت كيفية نشوء الحركة الثقافية ومنابعها، وعلاقة الأدب الاعتقالي بأدب المقاومة.

دراسة أبو شمالة (2003)، تناول الأبعاد المادية للسجن من حيث: المساحة الضيقة، والصمت، والقيود وأقبية التحقيق المظلمة، وغرف العزل، والجدران الموحشة، وما يقوم به السجن لتوظيف كل ما سبق، وكيف انعكس ذلك على الأسير ومشاعره، وتفاعلات ذلك في وجدان السجين من يأس وأمل، وحرمان مادي وإشباع روحي، واغتراب مكاني، وفخر بالذات وتحدي وإصرار على التواصل.

دراسة الجوهر (د. ت) تناولت أهمية شعر المعتقلات التي برزت قبل الانتفاضة وأثناءها. وقد أبرزت الدراسة الحركة الفكرية في المعتقلات، وتناولت مجموعة من الأمثلة في التجربة الشعرية الفلسطينية من المثقفين الذين اعتقلوا وعاشوا التجربة؛ فوصفوا تجربة الاعتقال وحياة السجن، وممارسات الصهيونية.

أولاً: الوطن في الشعر الاعتقالي:

يُنظر إلى أدب المعتقلين في فلسطين كمرآة عاكسة؛ تظهر واقع المجتمع وصراعه مع الاحتلال، فالأديب لا ينفصل عن قضايا مجتمعه (Zainol & Safian, 2022). فالوطن يُمثل محورا أساسيا تدور حوله نتاجات المعتقلين الإبداعية، باعتباره دافعا للصمود، والمقاومة بالكلمة التي لا تقل شأنًا عن الكفاح المسلح⁶.

فالوطن ذو دلالة متجذرة في المرجعية الفلسطينية، حيث إن هذه العلاقة تتغلغل في النفس بسبب سنوات الحرمان الطويلة، ومرارة النفس بسبب التهجير والمنافي والاحتلال. وتتلخص الحالة الفلسطينية، إن أمكن اختصارها، في معاناة الشعب الفلسطيني بسبب الاحتلال، الذي ربما كان، من بين أسوأ الاحتلالات في تاريخ الاستعمار الحديث. فقد اعتمدت استراتيجية الاحتلال الإسرائيلي وأيديولوجيته، كجميع الحالات المماثلة، على محاولة التخلص من مفهومي أساسيين من الفلسطينيين: مفهوم الوطن، ومفهوم الشعب⁷.

تتمثل غاية الاحتلال الإسرائيلي النهائية في هدم الإنسان الفلسطيني وإنسانيته، فقد ربط الاحتلال طموحات الفلسطيني في بعض مطالب حياتية دنيا. ولذلك يثور الفلسطينيون ليحرروا وطنهم، ويقدموا أنفسهم فداء له. فالوطن بالنسبة لهم عبارة عن بداية التاريخ ونهايته. وفي السجن يأخذ الوطن معنى أكثر دلالة في النمو مع الإنسان، كلما ازداد عذاب المعتقل بسبب هذا المفهوم⁸.

لقد أدى ذلك كله إلى خلق منظومة قيمية تتلخص في كلمة واحدة هي "الوطن"، وهذه الكلمة تتجسد في كل شيء في حياة الفلسطيني؛ فصار الوطن هو العودة، والحب، والأمان. صار الوطن للإنسان الفلسطيني يعني فلسفة البقاء والوجود.

رفع الشعراء الفلسطينيون، ومنهم المعتقلون، لواء الثورة على الاحتلال الصهيوني، "فأبدعوا قصائد ممتزجة بعرقهم ودمهم، تؤسس لرؤيا تحريرية ضد الإبادة والتتكيل الوحشي بالإنسان، وتستحضر في الوقت نفسه الوطن بوصفه نواة حية، تنمو في كل أماكن النفي داخل الوطن وخارجه؛ وبذلك أصبح الشعر سجلا إبداعيا لصياغة الذاكرة الفلسطينية"⁹.

ثانيا: دلالات الوطن في الشعر الاعتقالي:

يُعدّ الشعر أحد لبنات الفن الأدبي؛ حيث يقوم بدور المناور والمحاور، وفي كثير من الأحيان يؤدي دور المحرض، بل يقوم بكل الأدوار معا في كثير من الأحوال. ولذلك، انحاز الشعراء المعتقلون إلى الوطن، فجاء "خطابهم مسكونا بالألم والتوجع، والغضب والثورة، ومشحونا بحب الوطن والحنين إليه، والتوحد معه ومناجاته، وتقديسه وتعظيم الموت على ترابه"¹⁰. وبناء على ما سبق، يمكن الإشارة إلى مجموعة من الدلالات التي أشار إليها الشعراء المعتقلون في قصائدهم للوطن ومن هذه الدلالات:

1. الوطن رمز للصمود والتحدي:

ارتبط الوطن في شعر الأسرى بمفهوم الصمود ورفض الهزيمة. فالشاعر توفيق زياد، الذي مرّ بتجربة الاعتقال، وعانى مرارته، جعل من قصائده مدرسة للمقاومة؛ فقصيدته "سمر في السجن"، على سبيل المثال، تضمنت عناصر نضالية تحث الفلسطينيين على الانتفاضة لتحرير وطنهم من قسوة الاحتلال¹¹. وبناء على ذلك، فإن السجن، ليس نهاية المطاف، بالنسبة للأسير، بل هو محطة تعمق ارتباطه بالأرض؛ فالشعراء المعتقلون، رغم القيود، يصفون أنفسهم بأنهم "أحرار"، ويستخدمون الكلمة كسلاح للدفاع عن هويتهم¹².

2. الوطن قصيدة:

يشكل مفهوم الوطن القصيدة عند الشاعر المعتقل يُعدّ محاولة منه للارتقاء بمفهوم الوطن إلى مكانة سامية، فهو يمثل ذروة الانفعال الذي يجعل من الوطن معادلاً للحلم، أو الرؤيا الأكثر جمالا. وهو انسجام مع الواقع رغم قسوته ومرارته. إنه الوطن الذي يتساق مع الخيال؛ ويُغذّي واقع المعتقلين بكل تشابكاته وتداخلاته في الوقت نفسه. وقد عبّر الشاعر محمود الغرباوي عن هذا المفهوم بقوله:

"وطني قصيدي التي/ لا زلت أنضح بين طلقته/ وطلقته الضريرة/ لا زلت بين قذيفة/ وقذيفة مرّت/ وأخرى في الطريق إلى فسيلة/ وطني قصيدي التي لا تنتهي/ وطني قصيدي الأخيرة"¹³.

وهنا يبرز تساؤل الشاعر الغرباوي: ما الذي يستطيع الفقراء تقديمه للوطن إذا كان الوطن بالنسبة للشاعر هو القصيدة؟ فتأتي إجابة التساؤل على لسان الشاعر، إن الفقراء يقدمون أكفهم، وأنفاسهم، وأرواحهم رخيصة حبا بالوطن. إنهم يبذلون أنفسهم ليظل الوطن عزيزاً حراً، ويحترقون لأجله. ويبين

الشاعر سبب تلك التضحية، وهي ليلم الوطن عظامهم، بل وهمومهم في النهاية. وكذلك ليحيا الوطن عزيزا أبياً، كي يبقى الوطن قويا جميلاً مليئاً بالقرنفل والأمطار. ولا يكون ذلك للوطن إلا عبر التضحية، فدماء الشهداء هي التي تروي تراب الوطن. يقول الشاعر الغرباوي:

"غصناً لإكليل توهج في جبينك وانفطر / لا يملك الفقراء يا أماه غير
أكفهم وشهيقهم / حطباءً وزيتاً / كي يلم عظامهم وهمومهم وبذارهم / وطن فتّي
كالقرنفل والمطر"¹⁴.

رغم ما يتعرض له الشعب الفلسطيني من سجن وقتل، وتشريد، يظل الوطن عزيزاً لا يمكن تركه والابتعاد عنه. فالشعب الفلسطيني يملك القدرة على مواجهة الصعاب وتخطيها؛ فالفلسطيني يتقن فن اللقاء مع الوطن، ومع أحبائه في الظروف واللحظات الصعبة، ولو كان ذلك في السجن، أو في مواقع المواجهة مع الاحتلال، كما يقول الشاعر:

"آه يا أماه كثران التعب / ما ضللتنا / نحن أتقنا التلاقي / بين قضبانٍ /
وبين مساقط الدم واللهب"¹⁵.

3. الوطن ذكريات:

تجابهنا كثيراً في النصوص الشعرية المتقدمة نسبياً في تاريخ إنتاجها، حالة من الوجد الرومانسي الذائب في المكان الأرض والطبيعة، واستعذاب الألم من أجل البقاء مع الحبيب الأرض، وغالباً ما تأتي حالة الوجد هذه ممتزجة بالثورة والتحدي لمحاولات الطرد وانتزاع المكان من الذاكرة¹⁶. فالشاعر "معاذ الحنفي" في قصيدته "ذكريات شائكة" يُظهر، من خلال، نداء الأرض حبه للأرض، وحب الأرض له. إنه يتذكر تفاصيل تُذكره بالوطن. وهنا يبرز التساؤل عن سبب ذلك؛ فتأتي الإجابة لتبين السبب، إن الشاعر بعيد عن

الوطن، فالدار تبكي فقده، والنور يصرخ من أجله. يعيش الشاعر في ظلام السجن محاط بجدرانه، ورغم ذلك هناك الكثير من التفاصيل والأشياء التي تذكره بالوطن: القهوة، الأوهام، الأسفار، والأحاديث، فكل شيء يذكره بالوطن، وبحبه له. فما زال الشاعر يحنّ إلى تفاصيل الوطن، كما تحنّ الأرض الجرداء إلى الزرع.

"ما زلت أحب نداء الأرض، صراخ النور، بكاء الدار/ أتنوق - عيفا - جل مرارة عمر/ أفني بين ظلام السجن وبين جدار/ ما زلت أحب القهوة وخيالات الأوهام/ وبعض الأسفار/ أحفظ عن ظهر الغيب حديثا كنا ننتلوه/ ونحن السمار/ ما زلت ربيعاً طالت غيبته والأرض القحط/ تودّ وتنتظر النّوار"¹⁷.

يظهر من خلال المقطع السابق، أن هناك ربطاً ما بين الوطن وبين الطبيعة "ما زلت ربيعاً طالت غيبته والأرض القحط تودّ وتنتظر النّوار". وكأن الشعراء، من خلال هذا الربط، يميلون إلى إيجاد انسجام وحوار بين مكونات الطبيعة، كي تقدم مدلولات تظهر أن الوطن الفلسطيني الراح تحت الاحتلال والمعذب، صارت قضيته تُسرد من ضمن جميع الأشياء، ومنها الطبيعة. فالشعراء كأنهم يحاولون، من خلال ذلك، انتزاع الحب للوطن من أنفسهم ويصيّرونه مُزيّناً بتلك المفردات، التي رُسمت تلك الصور بوساطتها. إن هذا التسخير لعناصر الطبيعة من أجل قضية الوطن السليب، يعبر عن طاقة شعورية عالية ترفع من القيمة الجمالية لتلك الأشعار.

فالشاعر يترجم عشقه للوطن بعودة حقيقية إليه، ويظهر ذلك خلال قصيدته المعنونة "العودة للوطن". فالشاعر يؤمن إيماناً حتمياً بالعودة إلى وطنه، ولذلك نراه يستخدم الفعل المضارع "أعود" بمعنى أن العودة مستقبلية. فكيف السبيل إلى هذه العودة ونحن ندرك صعوبة العودة؟ فيجيب الشاعر بأنه

سيعود إلى وطنه مهما كلفه الثمن، ولو عاد ممزق الأشلاء، أو جثة هامدة، فلا همّ عنده إلا العودة إلى وطنه، وأن يقدم روحه فداء له.

"أعود إليك يا وطني/ وأشلائي ممزقة/ وأوصالي مهشمة/ فأعصر نخر أفكار/ أقدم غصّ أيامي/ أقدها بإيلام/ لأهديها لتاريخي/ وأهديها لأطفالٍ / يصونون العلا فينا"¹⁸.

4. الرموز الفنية والدلالات اللغوية:

اعتمد شعراء المعتقلات أدوات فنية؛ لتعميق صورة الوطن، منها: الرمزية الدينية والتاريخية¹⁹، ومن الرموز التي استخدموها (المسيح، الصليب، الجلجلة) للدلالة على عذاب الشعب الفلسطيني وتضحيته من أجل وطنه (زياد، 2006). وقد استلهموا، كذلك، قصص الأنبياء مثل: (قصص يوسف ويونس)؛ بهدف تعزيز الصبر على آلام الاعتقال، في سبيل القضية الأسمى وهي حرية الوطن.²⁰

5. الوطن والعودة:

العودة للوطن لا تكون إلا إذا ضحى الشاعر بأجمل أيام حياته، وذلك يكون باستشهاده في سبيل الوطن. والشاعر يستشهد؛ لإيمانه بقضيته، التي تحتاج إلى التضحية والفداء. فهو يبذل روحه رخيصة لأجل وطنه فلسطين، وأطفالها الذين سيصونون شرف الأمة، ويحافظون عليه، فهم المستقبل.

"نعود إليك أحرارا/ نعود إليك كثنائنا/ من الشهداء والجرحى/ إليك نعود أبطالاً/ من الزهرات والأشبال/ تهدهدنا أمانينا/ وتحملنا أغانينا/ فلسطين الفدا حرة/ سماء الزهو ترفعنا/ ونسمو بانطلاقتنا"²¹.

يلح الشاعر على مفهوم العودة للوطن، غير أن العودة، هذه المرة، ستكون عودة جماعية، وليست عودة أحادية، "أعود إليك" كما كانت في البداية. فالعودة الجماعية للوطن وكأنها لا تكون إلا عبر أن يقوم كل واحد فينا بتأدية

مفهوم الوطن في شعر المعتقلين الفلسطينيين في المعتقلات الإسرائيلية

الدور المطلوب منه تجاه الوطن. فطريق النصر يحتاج إلى الكثير من الشهداء والجرحى. ولذلك ينبغي أن يقدم الشعب الفلسطيني تضحيات كثيرة حتى يحقق الانتصار، ويحقق حلم العودة إلى الوطن. وعندها تكون عودة الفلسطينيين حرة كريمة، وسيشعرون، عندها فقط، بالفخر والعزة، وسيفخرون بانطلاق حركة المقاومة. فالشعب الفلسطيني يعود إلى وطنه بهذه الطريق فقط.

6. التوأمة بين الوطن والمرأة (الأرض والأنثى):

تجلى في شعر الأسرى، وبخاصة عند الشاعر عبد اللطيف عقل، ظاهرة المزج بين صورة المرأة وصورة الوطن، حيث تصبح الأرض هي المعشوقة أو الأم²²، ويظهر هذا الارتباط من خلال:

أ. الارتباط بالبيئة: يستخدم الشاعر مفردات تتعلق بالأرض مثل: (الزيتون، التين، الصبار) كرموز للهوية، والتشبث بالوطن في مواجهة الغاصب المحتل.

ب. أنسنة الوطن: وفي هذه الحال، يستخدم الشعراء أسماء نسوية للوطن مثل: (جفرا) كرمز؛ لإضفاء لمسة عاطفية إنسانية على القضية الوطنية.

ت. رفض الاغتراب: أكد الشعراء المعتقلون أن قمة العطاء هو البقاء في الوطن، وأن تجربة الاغتراب والرحيل ما هما إلا مأساة تزيد من حنين الفلسطيني للعودة²³.

وفي قصيدة "الميلاد في الميلاد" يظهر الشاعر محمود غرباوي عشقه لفلسطين. فهو يخاطب الوطن، وكأنه أنثى؛ حيث استهل قصيدته بالفعل المضارع "أقبل" الدال على الحب والعشق. يقول الشاعر:

أقبل شعرك/ كيف تورّد خدّاك/ حين التقينا/ وكيف تداعى الصبر/
تموج في الروح ثم انتثر²⁴.

فالشاعر يعلن عن حبه لفلسطين التي ناضل من أجلها؛ ليكون ذلك بمثابة اللقاء بينهما؛ فصوتها ما زال في داخله. وهو يكرر لفظ أحنّك الدال على الاستمرارية، فحبه للوطن فلسطين لم ينته ولن ينتهي؛ فليس هناك خيار بين الوطن وبين المنفى. إن الشاعر يختار الوطن؛ فلا يمكنه اختيار غيره. "أحنّك/ لا زال صدرك يوغل في داخلي / أحنّك/ هل للعنادل حق الخيار/ بين المنافى وبين الشجر"²⁵.

الصورة الشعرية في هذا المقطع تتشابه كثيرا مع الصورة التي رسمها الشاعر محمود درويش في قصيدته "عاشق من فلسطين"، التي يقول فيها: "وأقسم/ من رموش العين سوف أخط منديلا/ وأنقش فوقه شعرا لعينيك/ واسما حين أسقيه فؤادا ذاب ترتيلا/ يمدّ عرائش الأيك/ سأكتب جملة أحلى من الشهداء والقبل/ فلسطينية كانت.. ولم تزل"²⁶.

فالشاعر يمارس عملية التوحد بين الوطن والحبية؛ فتصبح الحبيبة والوطن وجها لشعور وانفعال الشاعر. لقد صارت الحبيبة والوطن جزءا من الشعر الذي هو الحقيقة الوحيدة البعيدة الصراع في داخلها.

7. الجغرافيا الفلسطينية في شعر المعتقلات:

إن الوطن، في قصائد الأسرى، لم يكن مفهوماً مجرداً، بل كان جغرافيا نابضة بالحياة، تشمل المخيمات، والقرى، والمدن المهددة بالتهويد²⁷. فالقدس تبرز كجوهر للقضية ورمز للصراع، وهي، بوصفهم، قبلة الثوار التي يتباكى عند أسوارها الظلام²⁸. وقد وثّق الشعراء المعتقلون، في قصائدهم، أماكن

مفهوم الوطن في شعر المعتقلين الفلسطينيين في المعتقلات الإسرائيلية

محددة من المدن والقرى مثل: (غزة، عكا، نابلس، البروة، وزكريا)؛ وذلك لترسيخ الحق التاريخي الفلسطيني فيها، وردا على محاولات طمس الهوية الفلسطينية²⁹. أما المخيم فيمثل، في الذاكرة الشعرية، رمزاً للجوء والمعاناة، ولكنه أيضاً منطلق الثورة والرفض³⁰.

خاتمة:

يُعدّ الوطن بوصلة الوجود في شعر الأسرى الفلسطينيين، وهو الدافع للإبداع؛ حيث نجح المعتقلون في تحويل الزنازين التي حجزت أجسادهم إلى منابر للأدب، توثق تمسُّك الفلسطيني بأرضه وحقه³¹. وبذلك يبقى النتاج الشعري للشعراء الفلسطينيين المعتقلين وثيقة تاريخية تثبت أن وعي المعتقلين بوطنهم يتجاوز جدران السجن وأسلاكه الشائكة؛ ليصنع فجراً جديداً من الحرية³².

عكس إنتاج المعتقلين الأدبي حقيقة الواقع الاعتقالي، الذي تميز بطبيعة المعاناة، التي عاشها الكثير من أبناء الشعب الفلسطيني، وحجمها. فقد مرّ الشعر الفلسطيني في المعتقلات الاحتلالية الإسرائيلية بتجربة غنية يمكن تمييزها؛ فإبداع الحركة الأسيرة الأدبي نما مع نمو الصدامات وحدّة التناقضات في المعتقلات الصهيونية.

لقد أنتج المعتقلون الفلسطينيون في زنازينهم أدبا تميّز بالصدق والإنسانية. فهو أدب يعتمد أسلوب التأثير الذي يهز المشاعر؛ بسبب مأساوية الأحداث التي يواجهها المعتقل في المعتقلات الصهيونية. إن إبداع المعتقلين الفني في الغرف المعتمة، وبين خيام معسكرات الاعتقال ليس من باب الترف، أو النزهة، كما لم يكن لقضاء الوقت أو من أجل التسلية. بل كان الإبداع الفني في الأسر تعبيراً عن الواقع المسيّج بالأسلاك الشائكة والذكريات. فانفعالات

السجين تنتج عملاً فنياً مليئاً بالعاطفة الجياشة، التي تستطيع التحليق والقفز فوق الأسلاك الشائكة واجتياز القضبان³³.

لقد شكّل الشعر الذي أنتجه المعتقلون الفلسطينيون أحد الوسائل النضالية. وقد استطاع هذا الشعر التعبير عن المعتقل ونفسيته؛ فشجذ عزيمة المعتقل في محنته. كما كانت تلك الأشعار قادرة على تصوير ظروف الاعتقال وواقعه، وما يتعرض له الفلسطيني على يد السجان الإسرائيلي.

يرتبط شعر المعتقلين بأدب المقاومة، ويُعدّ جزءاً منه؛ فالشعراء الذين أنتجوه محسوبون على الثورة؛ حيث عانوا في سبيل القضية الفلسطينية، وضحوّوا لأجلها.

النتائج:

1. جسّد الشعر الاعتقالي معاناة الفلسطيني بكل أشكالها وأبعادها؛ فصور حياة الإنسان الفلسطيني.
2. أسهم الشعر التي تحرر من المعتقلات ومن بين الأسلاك الشائكة في عملية التحريض ضد الاحتلال.
3. صوّر شعر الاعتقال تضحيات المعتقلين الفلسطينيين وتجاربهم، بصور وتشبيهات، ورموز فنية، تعكس تجربة شعرية عالية.
4. عبر الشعر عن معاناة المعتقلين؛ لأنه وليد اللحظة، ويتعامل مع مستجدات الحياة اليومية للمعتقلين، فهو مؤثر وسريع، ويتم تناقله بسهولة.
5. عبر الشعراء المعتقلون عن الوطن بدلالات كثيرة لمحاولة الارتقاء بمفهوم الوطن إلى أسمى مكانة فهو القصيدة، التي تجعل من الوطن معادلاً للحلم، أو الرؤيا الأكثر جمالاً.

6. ضحى الشعراء المعتقلون بأرواحهم رخيصة من أجل الوطن، وضحوا بأنفسهم كي يبقى الوطن حراً عزيزاً، فهم يحترقون من أجله كي يلم عظامهم عند الموت.
7. ربط المعتقل الشاعر بين الوطن والطبيعة، لخلق حوار وانسجام بين مكونات الطبيعة.
8. على الشعب الفلسطيني أن يُضحى كثيراً حتى يحقق الانتصار، ويحقق حلم العودة إلى الوطن.
9. وُجد الشاعر بين الوطن والحببية، فصارت الحببية والوطن جزءاً من الشعر الذي هو الحقيقة الوحيدة.

¹ حسن عبد الله. *النتائج الأدبية الاعتقالية دراسة تاريخية تحليلية*. مركز الزهراء للدراسات والأبحاث، القدس، 1994، ص 16.

² المتوكل طه، وإبراهيم جوهر. *الثقافة والانتفاضة*، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، ط1، رام الله، د. ت، ص 122.

³ محمود زياد، "التشكيلات الفنية والأدبية لفن الرواية عند المعتقلين في سجون الاحتلال"، مجلة الدراسات اللغوية والثقافية والفنية، المركز الديمقراطي العربي، برلين، مج 5، ع 19، 2021، ص 40.

⁴ غالي شكري، *أدب المقاومة*، دار المعارف، مصر، 1970، ص7

⁵ شكري، المرجع السابق، ص7

⁶ Zainol, N. F. M., & Safian, N. L. (2022). Prison Literature of Tawfiq Ziad: The Study of the Poem of "Samar Fi Al-Sijni". *Ulum Islamiyyah Journal*.

⁷ محمود موسى زياد، *الأدب الفلسطيني في سجون الاحتلال الإسرائيلي 1987-2000*، رسالة ماجستير، جامعة بيرزيت، فلسطين، 2006، ص 63.

⁸ زياد، المرجع السابق، ص 63

⁹ إبراهيم نمر موسى، *تجليات الوطن والثورة في شعر كمال ناصر*، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، مج 36، ع 1، 2009، ص 26.

¹⁰ يوسف رزقة، *المنفى وتجلياته في الشعر الفلسطيني*، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، الجامعة الإسلامية، غزة، مج11، ع1، 2003، ص 4.

¹¹ Zainol, N. F. M., & Safian, N. L. (2022). Prison Literature of Tawfiq Ziad: The Study of the Poem of "Samar Fi Al-Sijni". *Ulum Islamiyyah Journal*.

- ¹² رأفت حمدونة. الجوانب الإبداعية في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة. وزارة الإعلام الفلسطينية، فلسطين، 2018، ص.
- ¹³ محمود الغرباوي، إبداعات المعتقلين الأدبية 3، مخطوطة، مركز أبو جهاد، القدس، د.ت، ص 21.
- ¹⁴ الغرباوي، المصدر السابق، ص 81.
- ¹⁵ الغرباوي، المصدر السابق، ص 84.
- ¹⁶ رزقة، مصدر سابق، ص 11.
- ¹⁷ معاذ الحنفي، أوراق محررة، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، رام الله، 1991، ص 27.
- ¹⁸ معاذ الحنفي، المصدر السابق، ص 40.
- ¹⁹ معاذ اشتيه. عبد اللطيف عقل شاعراً. رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2003، ص
- ²⁰ محمود موسى زياد، الأدب الفلسطيني في سجون الاحتلال الإسرائيلي 1987-2000، رسالة ماجستير، جامعة بيرزيت، فلسطين، 2006، ص.
- ²¹ معاذ الحنفي، المصدر السابق، ص 41
- ²² معاذ اشتيه. عبد اللطيف عقل شاعراً. رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2003، ص
- ²³ المرجع السابق نفسه، ص
- ²⁴ محمود الغرباوي، مصدر سابق، ص 14.
- ²⁵ محمود الغرباوي، مصدر سابق، ص 14.
- ²⁶ محمود درويش، الديوان، دار العودة، ط 14، بيروت، 1994، ص 140.

²⁷ محمود موسى زياد، الأدب الفلسطيني في سجون الاحتلال الإسرائيلي 1987-2000، رسالة ماجستير، جامعة بيرزيت، فلسطين، 2006، ص.

²⁸ معاذ اشتيه. عبد اللطيف عقل شاعراً. رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2003، ص.

²⁹ معاذ اشتيه. عبد اللطيف عقل شاعراً. رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2003، ص 82-90

³⁰ معاذ اشتيه. عبد اللطيف عقل شاعراً. رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2003، ص 88.

³¹ رأفت حمدونة. الجوانب الإبداعية في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة. وزارة الإعلام الفلسطينية، فلسطين، 2018، ص.

³² محمود موسى زياد، الأدب الفلسطيني في سجون الاحتلال الإسرائيلي 1987-2000، رسالة ماجستير، جامعة بيرزيت، فلسطين، 2006، ص 203.

³³ فايز أبو شمالة، الإبداع الفني خلف القضبان، ورشة عمل، المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية، رام الله، 2002، ص 7.